مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822,
EISSN: 2600-6189

مجلد: ... عدد ... جوان ....
العنوان :تمظهرات أزمة القيم في الفكر الفلسفي الغدوي ص.ص.
عند محمد عزيز الحبابي

تمظهرات أزمة القيم في الفكر الفلسفي الغدوي عند محمد عزيز الحبابي

مريم بن مبارك[1]، أ.د نوال عباسي[2]

مخبر الدراسات الإسلامية واللغوية
جامعة عمارثليجي، الأغواط، me.benmebarek@lagh-univ.dz[1]
جامعة عمارثليجي، الأغواط،[2] abassinawal17@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 07/08/ 2020 ؛ تاريخ القبول: .../ ..../ ....

The manifestations of the values crisis in the Ghadawi philosophical thought of Muhammad Aziz Al-Hababi

Abstract:

The subject of our study is related to the crisis of contemporary values, as a fatty substance dealt with by many studies, including the study of Muhammad Aziz Al-Hababi in particular. Its moral and spiritual standing in exchange for sweeping the values of modernity (lies, selfishness, chauvinism, rivalries, ...) in the name of reason, rationality, science and freedom in its liberal conception of the life of the Arab and humanitarian community as a whole. On an ethical principle like the message carries with it moral dimensions in order to elevate the human being to a better tomorrow, with immunity that Islam nourishes as the source of our value system.

Keywords: crisis; Values; Thought; philosophy of tomorrow; Muhammad Aziz Al-Hababi.

الملخص

موضوع دراستنا هذه متعلق بأزمة القيم المعاصرة، كمادة دسمة تناولتها عديد الدراسات منها دراسة محمد عزيز الحبابي بوجه خاص، فقد عمل على بلورة فكر فلسفي غدوي لرفع وتجاوز الأزمات المعاصرة أهمها أزمة القيم التي شخص أعراضها وكشف عن تجلياتها وملامحها من خلال تبيان خطر تراجع القيم الاسلامية عن مكانتها الاخلاقية و الروحية مقابل اكتساح قيم الحداثة (الكذب، الأنانية، الشوفينية، المزاحمات،...) باسم العقل، العقلانية و العلم والحرية في مفهومها الليبيرالي لحياة المجتمع العربي والإنساني ككل، فقد حاول بعد تشخيصه للأعراض إيجاد العلاج لتجاوز الأزمة بتسخيره لإمكانات الإيمان المرتكزة على المبدأ الأخلاقي كرسالة تحمل بين طياتها أبعاد أخلاقية من أجل الارتقاء بالإنسان إلى غد أفضل، بمناعة يغذيها الإسلام كمصدر لنظامنا القيمي.

الكلمات المفتاحية: أزمة؛ القيم؛ الفكر؛ الفلسفة الغدية؛ محمد عزيز الحبابي.

مقدمة:

رغم كل ما حققته الحداثة العقلانية من نجاحات ومكاسب في بداياتها، بفضحها لتواطئ الكنسي السلطوي في استغفال العقول وإرهاق الجيوب، وتعبيدها لمسالك العقل في سعيه لإدراك العالم، وتحريره من عُقال عصر الظُلمات، إلا أن الواقع اليوم يثبت انحراف المشروع الحداثي الغربي عن مساره السليم، باجترائه على إعلان موت الإله، وتشريعه للإبستمولوجيا للفصل بين القيم الأخلاقية وباقي مجلات المعرفة، ليصل إلى مآلات كارثية قلبت حياة المجتمع الغربي في جميع مظاهره رأسا على عقب، حيث فُقد المعنى، وتراجعت الفضائل واضمحلت العلاقات الاجتماعية، وتميعت القيم، ما أشعر الإنسان في هذا العصر بالتيه (أزمة القيم) وألزمه بضرورة العودة للقيم الروحية لتفرض وجودها مجددا، فكذلك عالمنا العربي الإسلامي والثالثي لم يسلم من هذه الإنقلابات، لأنه جزء من عالم اجتاحته

ظاهرة عظيمة من تبدل في القيم والأخلاق و لأن مناعتنا ضعفت أمام الآخر وذلك لانبهارنا به وبحضارته، وتزاحمنا على الإفتخار بتقليده، فإذا بنا نستيقظ على أزمة في القيم بل ثورة فيها. هذا ما دفع بمفكرنا محمد عزيز الحبابي إلى الغوص في غمار هذه الأزمة واعلانه لحالة طوارئ فكرية ضد الفكرلوجيات التي أعلت من شأن البعد المادي، واستبعدت البعد الروحي، لأنها فكرولوجيات نمت في أحضان المادية، وتغذت منها، مؤكدا بأنه يمكن للقيم أن تنمو بعيداً عن الإيمان باسم هذه الفكرولوجية (التي جاء بها مثقفو العرب/العالم الثالث)، أو تلك (الفكرولوجيات الغربية)، لكنها لن تكون لها قوة القيم المتغذية من طاقة الإيمان، والمعتمدة على فعاليته، فقد عمد الحبابي إلى تشخيص أعراض هذه الأزمة محاولا بعد ذلك اقتراح العلاج لها وحول ما سبق ذكره تنطلق تساؤلاتنا كالتالي:

-فيما تجلت ملامح أزمة القيم عند الحبابي؟.

-ما هو البديل الذي اقترحه للعلاج؟.

-ما هو المصدر الذي اعتمده لنظامنا القيمي؟.

مفهوم أزمة القيم:

-مفهوم الأزمة: لغة: تعني الشدة والقحط والأزمة هو المضيق، ويطلق على طريق بين جبلين مأزم (الرازي محمد بن أبي بكر، 1967: 15).

- اصطلاحا: في "حالة توتر ونقطة تحول تتطلب قراراً ينتج عنه مواقف جديدة سلبية كانت أو إيجابية تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة" (الشعلان فهد احمد، 2002: 26).

-يعرف رضا رضوان الأزمة بأنها " فترة حرجة أو حالة غير مستقرة تنتظر تدخلا أو تغييراً فورياً" (رضوان رضا عبد الحكيم، 2000: 44).

-مفهوم القيم: لغة: القيمة واحدة، القيم وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، يقال قومت السلعة، والاستقامة والاعتدال، وقومت الشيئ فهو قويم أي مستقيم ، والقوام العدل قال تعالى : ﴿ وَكَانَ بَيْنَ

ذَلِكَ قَوَامًا"، وقوام الرجل أيضا قامته وحسن طوله (الجوهري أبو نصر إسماعيل، د س: 102).

-اصطلاحا: القيم: هي مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك (المانع مانع، 2002: 132).

-وعرفت بأنها: " حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع محدداً المرغوب فيه والمرغوب عنه (الطريقي عبد الله ابراهيم واخرون، 1997: 14).

ومنه أزمة القيم هي:

-حالة تنشأ من معاناة الفرد من الصراع القيمي ونقص الوعي القيمي لديه وتشمل بعدين:

-البعد الأول: الصراع القيمي: ويقصد التوتر الناتج عن صعوبة تنظيم القيم وتحديدها والاختلاف بين ما يؤمن به الفرد وما يعيشه في الحياة.

-البعد الثاني: نقص الوعي القيمي: ويقصد به صعوبة الحياة في ضوء نقص وفقدان القيم وتدخل معايير الحكم السلوكي (محمد عبد التواب أبو النور، 2017: 13).

مفهوم الفلسفة الغدية: (الفكر الفلسفي الغدوي)

محمد عزيز الحبابي المفكر والفيلسوف المغربي والوحيد في الوطن العربي الإسلامي بطرحه الشخصاني الذي انتقل به عبر محطات فكرية فلسفية بادئا بمشروعه الشخصانية الواقعية (وتعني انتقال الفرد من الكائن إلى الشخص، ثم إلى الإنسان) ثم إلى محطة ثانية وهي التأصيل الإسلامي للشخصانية (الشخصانية الإسلامية) وصوله إلى الفلسفة الغدية كمحطة ثالثة في فكره وهي ترمي إلى معالجة النشاط الإنساني في بيئة معينة من أجل غد أفضل للإنسانية جمعاء.

طرح الفيلسوف "محمد عزيز الحبابي" فلسفة غدية تبنى على علاقة إنسانية مع التقنية، بوصفها مشروعا لانهائياً ومفتوحاً دائما

وأبداً لبناء مستقبل إنساني أفضل تجتمع البشرية حوله (mohamed aziz lhbabi, 1980, p. 21).

لذلك فالغدية كما يعرفها " الحبابي" هي: الدراسة العلمية " للغد" انطلاقا من معطيات إحصائية مستقبلية، قائمة أو متوقعة، فبالنسبة إلى المستقبل المعادل لـ' التاريخ" (كمادة مختصة بدراسة الماضي)، تختلف الغدية عن المستقبلية (أو الماركيتينية، كما يسميها البعض)، من حيث أنها تريد أن تكون منهجاً علميا لمعالجة النشاطات الإنسانية قصد استخلاص عناصر متوقعة وتهم الإنسانية جمعاء، أي بكل إنسان وبمجموع أبعاده المادية والوجدانية والروحية، أما المستقبلية فهي " أساسا دراسة للمستقبل المباشر" (محمد عزيز الحبابي، 1991: 22)، لذلك نجد أن " الحبابي" يرى بأنه وإن اعتمدت الغدية على المستقبلية كمادة مساعدة، لكنها ترمي الى أبعد منها متجاوزة لها، لأن الغدية لا تقتصر على تمثل مجموعة الأبحاث المعرفية المتكاملة للمقارنة ولمعالجة النشاطات الإنسانية (عالم الغد)، وتهدف أيضا إلى أن تصبح نسقاً فلسفيا وأخلاقياً.

إذن فهدف "الفلسفة الغدية" يتجاوز الاستشراف لأنها ذات توجه فلسفي وإيتيقي، موضوعها مزدوج: الإنسان كما هو في وضع التأثر والتفاعل الحاضرين، والإنسان المهتم إلى ما يجب فعله لاستخراج الخبايا الواقعية لفلسفة من أجل الغد، وفلسفة الغد (محمد عزيز الحبابي، 1991: 24).

ملامح أزمة القيم عند الحبابي:

إن القيم في احتضار ومعها الحضارة المعاصرة، وقد دق ناقوس الإفلاس مع انتشار تلك السلوكيات والقيم والمبادئ التي امتهنها الجميع وأصبحت من الأعراف المعترف بها باسم (المصلحة العامة) فانشقت الأخلاقيات، مما ولد أزمة في القيم، وقد كان أهم تجلي لها عند الحبابي هو انتشار الكذب الذي لم يعد من " القبائح المحرمة" وعن الكذب ارتكزت الأنانية بين الأفراد التي تبرر بأنها الشطارة في عالم يخضع لصراع المصالح، كما تنتج عنه ما يسمى

بالشوفينية (أنظر الشرح : رقم1) وهذا أيضا انحراف أخلاقي (محمد عزيز الحبابي، د س: 13).

وصولا إلى الإنحرافات الخطيرة التي تغذي الأزمات الأخلاقية التي هي عكس المنافسات والتي لا تعادي الأخلاق، بل تشجع على التعاون، إلا أن المزاحمة نسق ينطوي على خدعة ضد الأخلاق، وكل هذه الإنحرافات هي بذور تغذت ونمت في تربيتها الخصبة ألا وهي تربة الكذب (محمد عزيز الحبابي، د س: 17).

إذن لابد دائما من العودة الى الأخلاق و القيم والمبادئ الكفيلة بالنجدة، للخروج وتخطي كل الانحرافات الخطيرة، خاصة لدى الذين جعلوا الغرب قدوتهم وولعوا بمنجزات التقننة والمعاصرة، التي أضحت تهدد الوجود الإنساني، وطغى فيها الجانب المادي على الجانب المعنوي الروحي و قضى على القيم الأخلاقية و انتشرت الأنانية و الكذب، لذلك يجب العمل على اعادة الإعتبار للقيم الأخلاقية من أجل مواجهة طغيان الآلية على القيم الإنسانية.

يعتبر محمد عزيز الحبابي الكذب من أفظع القيم السلبية التي ابتلى بها الانسان، لأن الكذب يعمل على نسف قواعد الحضارة إذ كلما تسرب الكذب الى السلوك انتشر النفاق وغابت الثقة والأدهى والأمر ما أصبح من مستويات للكذب داخل المجتمعات" إذ أصبح الكذب نوعين خسيس وهو العادي المبتذل، ونبيل وهو الذي يقوم على مبدأ مقبول دوليا، ويحظى بتقدير عام، ومما ينعت به أصحاب النوع النبيل" الدهاء" و " الحنكة " لكن عندما يبرع الثالثي في ذلك يلقب " بديماغوجي" (محمد عزيز الحبابي، د س: 14).

من هنا ارتفع الكذب الى مستوى عرف مجتمعي قاعدي وأصبح بذلك عرفاً دولياً و قوة تصرف في منافع أنانية، إلا أن هذه الأنانية لم تعد فردية بل شملت مجموعة أفراد المجتمع، إنها عدوى لقد أصبح الكذب من الاعراف، فالكذب الناجح علامة على النباهة كما يعد من امتيازات القوم الراقيين ذوي حدة الذهن، فلم يعد الكذب من السلوكيات المحرمة، وأصبح الجميع يتفق على أن الحذر من الغير هو القاعدة الأساسية في العلاقات العامة (محمد عزيز الحبابي، د س: 19).

لقد أمسى الكل حذراً من الكل، وتركزت الأنانية كقاعدة مشروعة تسيطر على المحبة والأخوة وانحلت عروة التعاون العالمي، فينغلق كل فرد على ذاته و مصالحه الخاصة، من هنا أصبحت القيم المادية تعلو على كل القيم الأخرى مهما كان نبلها، وأضحت العلاقات بين الأفراد والمجتمعات تقيّم بمقدار عائدها المادي، فالمهم هو تحقيق أكبر قدر من الربح مهما كانت الوسائل أو الطرق لذلك يعتبر محمد عزيز الحبابي أن الحضارة المعاصرة" معبودها الانتاج والدخل، وقوامها الأتجار والمزاحمة، حتى أنها لم تعد تتورع أي مساومة: كل شيء فيها يباع ويشترى، بما في ذلك الحقيقة والشهادة ، و الكلام و حتى الصمت (محمد عزيز الحبابي ، 1973: 32).

أزمة القيم عالمية لأنها أزمة أخلاقية تردع الكذب وعدم المساواة لأجل الخروج من دائرة الإنغلاق الفكري نحو الانفتاح على الآخر، فقد أعادت فلسفة الحبابي الشخصانية بصبغتها الإسلامية للشخص مكانته في ظل الفلسفات الغربية والفلسفات الإسلامية، وأنتج الحبابي اسلام شخصاني يجمع بين السلفية والنهضة الغربية بالحفاظ على القيم الإسلامية، تماشيا والتطور العلمي الهائل المعاصر وصولا الى شخص اسلامي معاصر يحمل القيم الأخلاقية النبيلة.

ذلك لأن " أخلاقية الغرب اليوم أخلاقية مقاولتيه تجارية، مرجعها الوحيد المدفوعات والمداخل، وغايتها الأسمى ترجيح كفة الأرباح على كفة المصاريف ولو انحطت الوسائل وأعرضت عن المعايير الانسانية" (الحبابي محمد عزيز: 99)، فبعد أن كان المأمول هو تعميم الرخاء، فإذا بها على العكس تجوع شعوباً وقارات وهذا هو حال الدول النامية (دول العالم الثالث).

فالحبابي يعتبر أن الداء الحقيقي لأزمة القيم يكمن في مبدأ المزاحمة، وإليها ترجع كل الاختلالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية إذ يقول: " حقاً إن المزاحمة الاقتصادية جذر من جذور المضرة تدفع إلى العدوان، لأن كل واحد منا يشعر وكأنه ملقى به في هذا العالم، دون إعانة خارجة عن قواه الذاتية، ومحتم عليه لكي

يضمن نصيبه في هذه الحياة، أن يكافح ضد الآخرين" (الحبابي محمد عزيز، 1972: 154).

فالحاجة الملحة اليوم هي أن يتشرف المفكرين على اختلاف مذاهبهم بالاجتهاد لتحقيق الوحدة في الهدف، خاصة فيما يتعلق بثبات القيم وترسيخها واعتمادها كأساس تقوم عليه كل المشاريع من أجل تجاوز جل الأزمات لاسيما تلك التي ترتبط بالقيم الأخلاقية.

من الكذب إلى الأنانية انتقالا إلى المزاحمات كلها انحرافات خطيرة تغذي الأزمات الأخلاقية والروحية، فالمزاحمة (أنظر الشرح: رقم2) نسق ينطوي على خدعة ضد الأخلاق، فلا ينجح في المزاحمات إلا الأقوياء فلا تشريعات تضبطها بل تستند إلى قانون الغابة (الغلبة/ الحق للأقوى)، وهذا ما يطبع القرن العشرين، إذ نشاهد تقلص الجانب الانساني (القيم الأخلاقية والروحية) بسرعة فائقة لفائدة المصالح المادية والسلطة وكأن القيمة الحقة هي قيمة البورصة دون سواها من القيم (محمد عزيز الحبابي، د س: 18).

ذلك لأن اختلاف الغرب و الإسلام حول الشخص، يرجع للإعتبار الشخص بالنسبة للغرب مجرد آلة حية دون روح، لكن الإسلام يجمع بين المادي و الروحي و يتجاوز الإختلافات الجنسية و العرقية، فالحبابي تأثر بالشخصانية الفرنسية و بالتحديد بفلسفة مونييه الشخصانية إلا أنها روحية غير مادية منطلقها المسيحية، أما شخصانيته مادية روحية منطلقها الإسلام، فبصبغتها الواقعية و الإسلامية كانت نقطة إنطلاقه نحو فلسفته الغدية التي تقوم على الحوار على أساس القيمة الأخلاقية.

فالاقتصاد الليبيرالي منذ بدايته وهو يقوم على المزاحمة، فهي لا تثري قوماً إلا على حساب آخرين، وهذا معطى مباشر أقرهُ التاريخ وخاصة في العمليات الاحتكارية فيزداد القوي قوة وينال الضعفاء افلاسا، فتفرز المزاحمة هموما تلهي عن القيم (كالصداقة والتعاطف والمحبة...) (محمد عزيز الحبابي، د س: 21).

هذا نفسه ما ذهب يؤكده لنا روجي غارودي قائلا: "إن حرية السوق هي حرية الأقوياء في افتراس الأكثر ضعفاً، الدليل الأكثر

سطوعاً هو التدهور الدائم في التبادل التجاري، إذ تمثل فوائد الدين في كثير من الأحيان نفس قيمة أصل الدين، وتساوي الفوائد قيمة مجمل الصادرات، مما يجعل أن أي تنمية مستحيلة، إذن لا يعني أنها دول نامية كما يطلقون عليها بنفاق، ولكنها دول محكوم عليها بمأساة متنامية بفعل الخضوع المتنامي، والمعونة المزعومة لدول العالم الثالث هي أحد العوامل الأكثر فعالية لتقوية خضوع هذه الدول وتأخرها المتزايد" (روجيه غارودي، 1999: 34).

هكذا تستهدف الفطرة البشرية إلى موت كل القيم واندثار العواطف والحب والانسانية، وإلى تشقيق وتحطيم كل شيء وبالتالي قتل قيمهم، ومثلهم وإيمانهم ومحو إنسانيتهم وكرامتهم.

إن أزمة القيم انبثقت عن أزمات الحداثة تلك الأزمات التي انبثقت من الحداثة نفسها حيث يردُ محمد الشيخ أزمات الحداثة كما شخصها الحبابي الى ثلاثة: أولها أزمة الكذب الممارس من طرف أصحاب السياسة، والسياسيون الذين لا يكفون عن توزيع الوعود الكاذبة، وثانياً الأنانية التي تؤدي الى انحراف القيم الإنسانية، وثالثها أزمة المنافسة التدافعية (المزاحمة) القائمة على إعطاء الأولوية للكم على حساب الكيف، فالكشف عن هاته الأزمات وتتبع أثارها وفضح مظاهر حضورها يتخذ في المشروع الفلسفي للحبابي شكل نقد أخلاقي للحداثة" (محمد الشيخ و أخرون بقلم ابراهيم مجدلية، 2015: 60).

بحيث أن الكائن الإنساني تدنى في إنسانيته من خلال انحراف العقل عن طبيعته الأولى وهذا ما قاد الحبابي إلى تأسيس فلسفة في القيم " إذ طالما نظر في مسألة القيم، من حيث معناها، ومبناها وغايتها، وطبيعتها ومجالها، فالقيم عنده هي: معيار التفريق بين الخير والشر وبفضلها نتمكن من التمييز بين ما ينبغي رفضه وتبنيه"، (الشيخ محمد، 2015: 63)، فأهم القيم في فلسفة الحبابي هي قيم كونية وتشمل ما هو روحي و اخلاقي و ثقافي وهي بمثابة الوصفة التي قدمها الحبابي لعلاج الأزمات الناتجة عن طغيان العالم الآلي.

من هنا كانت الحاجة الملحة لضرورة البحث عن أخلاقية جديدة، تعيد للضمير يقظته وتعمل على تنظيف الذات، ولقد كان

الإسلام صارماً في تحديد صفات المؤمن، إذ سئل مرة نبي الإسلام محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (يا رسول الله هل المسلم يزني، قال: نعم، وهل المسلم يسرق قال: نعم، وهل المسلم يكذب قال: لا)، (صحيح مسلم).لذلك وجب على الإنسان أن يحافظ على ضميره في يقظة واعية، وأن يجعل من النية أساساً لكل أعماله لأن " النية تؤنسنُ الأفعال، فالنية أداة وصل وثيقة بين عملية التفكير فيما يمكن القيام به والارادة المنجزة من جهة والضمير من جهة أخرى" (محمد عزيز الحبابي ، 1973: 76)، لأن النية هي التي تجند الفكر والإرادة وتوجههما حسب المبادئ والمقاييس، فرسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام يقول: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل أمرئ ما نوى)، (صحيح مسلم، 2010: 562) و القيمة التي تستند إليها النية ونرجع إليها في حكمها على الأفعال هي القيمة الأخلاقية فهي معيارها الذي تعتمد عليه في التفريق بين الخير والشر، فبها نُقَيّم وعلى هديها نُقَوَّم.

من هذا النص ندرك أن للقيم الأخلاقية مكانة ودور فعال في تسيير المجتمعات وتنظيم العلاقات بين الأفراد، فهي التي تعمل على إبراز معالم الحق عن معالم الباطل، لأن المودة والطيبة لا تسكنان القلوب حتى يحترم المجتمع القيم، لكن المؤسف في الأمر أن عالمنا الحالي يعيش أزمة حقيقية في القيم، مما نشهد من تراجع لإنسانية الانسان في العالم (القيم الأخلاقية والروحية)، بسرعة فائقة لفائدة المصالح المادية والسلطة، مما يفسح المجال أكثر للمزاحمة، ذلك لأن من طبيعة المزاحمات ألا ترحم ولا تراعي الصداقات والتعاطف، فهي منبع الأنانية.

حيث يعتبر الحبابي أن " عالم اليوم يعيش تناقضات ضخمة، تحاصر تصرفات الحكومة والشعوب، فالأزمات المعاصرة تتناقض حسب جدل غريب لا يستبين به العقل الإيجابيات من السلبيات، فلو كان جدلاً متواتراً نحو غاية حسنة، لأفضى إلى تركيب يجسد قيمة أو قيماً، أما الضدية التي تنبع من حرب الأنانيات ومن دعوة كاذبة لإحترام حقوق الإنسان، فتتنزل بالناس عن القيم الشمولية مسخرة

العقلانية للدفاع عما يعاكس الحق والواقع منحرفة بالعقل عن وظيفته الأصلية هكذا تتفسخ القيم" (محمد عزيز الحبابي، د س: 22).

حقوق الإنسان، نعم تنسب للإنسان حقوق لكن لا يحق لكل إنسان أن يتمتع بها، حقوق الإنسان هي عبارة تتجذر فيها أزمة القيم وهي من أهم تجلياتها، هي عبارة " تُخجِلُ الشعور بالانتماء إلى الإنسانية."، هل يعد إنساناً من ينتمي إلى الثلث المنسي الذي يموت جوعاً، ومرضاً وإهمالاً ولا يعترف له حتى بحق الوجود الأدنى من (حقوق الإنسان)؟ (محمد عزيز الحبابي، د س: 28).

وعن أي إنسان نتحدث؟ أذاك الذي ينتسب إلى مليار الأميين؟ أيشمل مفهوم إنسان في (حقوق الإنسان) من يبعن الهوى ومعه الشرف والكرامة تحت رعاية حكومات شرعية، وفي هذا كل ما يتعارض مع القيم الأخلاقية؟ " أيليق بالحضارة الانسانية المعاصرة أن تكون فيها الأعراض البشرية مورداً تجارياً استغلاليا رابحاً فلم يبق للوقاحة في سلخ الإنسان عن إنسانيته من مزيد". (محمد عزيز الحبابي، د س: 29).

أهي حقوق تلك التي تنسف إنسانية الإنسان الذي حوله تتمحور الأخلاق والقيم في حضارة انصرفت عن القيم الروحية والأخلاق لا ترحم ولا تحترم إلا القوة لذاتها، فأقبرت القيم واستخدمتها كشعارات يغلف بها الكذب والنفاق والخداع في هذا الجو وجد الإجرام بقعته وحتى شعاره تحت لواء (حقوق الإنسان)؟ (محمد عزيز الحبابي، د س: 30)،

ومما سبق ندرك الفهم الخاطئ ل"حقوق الإنسان" فالحق يقوم على العدالة والإنصاف وعلى مبادئ الأخلاق، وفي الإسلام هو أحد أسماء الله عزوجل"الحق"، وقد اهتم الإسلام بإحقاق الحق فهو يقوم على مبدأ وحدة الجنس البشري فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، وقد قام مفهوم حقوق الإنسان على أساس فلسفي وهو الذي أسنده الإسلام، ألا وهو تكريم الإنسان.

هكذا وتحت غطاء الشرعية الدولية، تحت سلطة هيئة الأمم المتحدة وتحت مظلة اللائحة العالمية لحقوق الإنسان، تتمكن القوى الكبرى بكل سهولة من إصدار أقسى وأشد القوانين الإلزامية ضد كل

من حاول الخروج عنها أو معارضتها أو تجاهلها فإن عاقبته واضحة الملامح وتتمثل في تأديبه وإلغاء وجوده من الخارطة العالمية المستقبلية وطبعاً هذا لا يسري إلا على الصغار الضعفاء تحت الشعارات التي تخدم مصالحهم وتعارض كل القيم الأخلاقية (اللاوندي سعيد، 2000: 128)، لتدمير الهويات القومية والثقافة القومية لشعوب العالم وابتزازها بدعاوي الديمقراطية والتعددية السياسية وحقوق الإنسان، وتحقيق الحريات الفردية (بوفلجة غياث، 1985: 90).

ويتولد من هذا أن فكرة الحبابي العميقة هي تحقيق التجربة الفردية في تجربة الـ "نحن"، هذا اللقاء الذي أساسه التواصل، التشارك و الاندماج بين الكائنات و الأشخاص في مسارات التاريخ والمجتمع الإنساني.

إذن تلك هي أزمة القيم التي استبيحت باسم العلمية والتقنية والتقدمية والعقلانية من خلال الصراع القائم بين الدين والقيم، لذلك فإن التنافر والتقابل بين الدين والعلم من مظاهر وملامح الأزمة وسيظهر جليا فيما سيلي.

التنافر والتقابل بين الدين والعلم:

أمام سيادة التقدم الصناعي الهائل، واكتساحه لمختلف مظاهر الحياة، حيث هيمنت على العلاقات البشرية نزعة آلية، واختلفت القيم الأخلاقية لتحل محلها قيم المصالح المادية وأمام فدية ثمينة قدمتها الحضارة الإنسانية عند تضحيتها بإنسانيتها، في ظل عالم أنهكته أزمات متجددة قابلها تقدما علميا وتقنيا جعل الأمم في صراع مستديم وكأن اللعنة خيمت على الإنسانية جراء تطور لا يوفر حتى راحة البال، رغم كل الإمكانيات التي يوفرها ، وما مرد ذلك إلا لما تشكوه المعاصرة من مرارة الفراغ المعنوي والروحي، " مسخرة العقلانية للدفاع عما يعاكس الحق والواقع، منحرفة بالعقل عن وظيفته الأصلية، هكذا تفسخت القيم وفقدت الإطمئنان وفقدت الحياة ملاحتها" (محمد عزيز الحبابي، د س: 23).

جراء فقدان حلقة القيم الأخلاقية والروحية واستبدالها بالتكنولوجيا، والإدعاء أن العلوم محايدة إطلاقا بالنسبة لكل القيم، مع التأكيد بأن الغاية العلمية تتقدم على الغاية الأخلاقية (محمد عزيز

الحبابي، د س: 26)، راحت الفلسفات المادية التي بشر بها مثقفو العالم الثالث، تجند كل أسلحتها الفكرية من أجل أن تدحض الدين والقيم باسم العلمية والتقدمية والعقلانية، ذلك لأنهم وضعوا القيم من جهة والتقنيات والعلم والعقل من جهة أخرى في صراع وهمي مصدره الدين والعلم فبالنسبة لهم العقل قادرا على استيعاب الواقع كلية وأن كل ما هو واقعي عقلاني، وصلاحية القيم والأفعال لا تقاس إلا بنتائجها المحسوسة، وما إن ساد هذا التصور إلا شوهت وهمشت القيم.

من هنا سعى الحبابي إلى تأكيد أن كل عملية إصلاح تعتمد على هذه المسلمات والمصادرات إلا وباءت بالفشل لأن كل ما تقدمه الفكرولوجيات الخارجة من رحم الفكر المادي عن العقل والواقع ليست بالسبيل للانعتاق من الأزمة، فالعقلانية التي يتشبث بها الفكرولوجيون العرب" تعوق العقل عن أن يعرف وظائفه العلمية وحدود حقوله" (محمد عزيز الحبابي، د س: 52).

أما عن الواقعية التي يرفعون لواءها " هي واقعية تدافع عن واقع الإنسان ذي البعد الأحدي المبتور من الروحي" (محمد عزيز الحبابي، د س: 54). واقعية تعمل على محاربة واستعباد القيم من خلال نشر ثقافة اللامعنى، وفرض قيم بديلة تقوم على أساس الانبهار والافتنان بالتكنولوجيا، والعمل على تشويه وتزوير القيم الشمولية، وهذا تطرحه الفكرولوجيات السائدة بالدعوة إلى مراعاة القيم، إلا أنها في الواقع تعمل على الاستهتار بها لأن مجالها لا يتجاوز المادية.

هذا ما يتجسد في النظام التعليمي " فالمدرسة والجامعة تصنع الرجل التقني وأطر الإنتاج ولكنها في غفلة عن تكوين الإنسان، وأي إنسان سيخرجه نظامنا التعليمي وقد انفلتت من البيداغوجيا حاسة الاتجاه" (محمد عزيز الحبابي، د س: 49)، ذلك لأن كل ما أصبح يقدم سواء للتلميذ أو للطالب يخلو من القيم الأخلاقية وأصبح الجانب التقني في الإنسان أهم مما يمتلكه من قيم سامية.

باسم التقدم والمعاصرة يستباح " كل ما يخالف العرف والعادات وما يعارض القيم الإنسانية وتبرر أعمال تتبرأ منها

الأخلاق " (محمد عزيز الحبابي، د س: 49)، ويبقى كل هذا ما تسعى إليه الأيديولوجيات المادية الخاسرة التي تعتقد أن باستطاعتها أن تقتلع الدين من وجدان الناس، وادعت أن الدين أفيون الشعوب، وأنه سبب اغتراب الإنسان واستلابه، وقيدته بإله " الآلة" واعتبرت أن الحل الوحيد هو التكنولوجية فمجدتها وضربت بقيمها عرض الحائط فاستسلمت الدول النامية وهي تستفيق من سباتها على حقيقة مفادها أن التقدم هو استجلاب التكنولوجيا إلا أنها تكتشف أن الذي يشتري الآلات لا يمسى مالكا للتكنولوجيا (محمد عزيز الحبابي، د س: 29).

إذن يرى الحبابي أنه يجب إعادة النظر في فلسفة القيم وربط الأفعال بالمقاصد والنيات وليس بالنتائج المادية، لأنه لابد أن يستعيد الإيمان فعاليته ودوره في الحياة الاجتماعية، فوحده هو الكفيل بتنمية القيم الإنسانية، فبدونه لن تصبح هناك أي قيمة للإنسان، فالحبابي ينتقد النبرة الضيقة التي حصرت الحياة في " صراع من أجل الإنتاج والاستهلاك ومن أجل المعرفة والتكنولوجيا" (محمد عزيز الحبابي، د س: 33)، فلابد من تنمية البعد الروحي الذي يبث الأمل في سلوك المجتمعات ذلك لأن الفراغ العقائدي انتحار معنوي للشعوب.

ففلسفة الحبابي بتركيزها على الإنسان تكون فلسفة ذات نزعة انسانية مرتكزة على مبدأ أخلاقي أساسي، وهو وضع الإنسان فوق كل اعتبار، فهي فلسفة تسعى إلى ما يضمن للإنسان كرامته، فهذا التوجه الفلسفي يساعد على تخطي كل المآزق التي تفرضها الفكرولوجيات الجديدة.

لا يعني هذا أن الحبابي يؤيد المواقف التي تدعو إلى ضرورة معاداة التقنية والتقدم، لكن الإستعمال السيئ لهما هو الذي يجعل منها أداة للدمار عوض العمار، " لأننا نستهدف الفوضى الفكرية والأخلاقية التي تبعد عن القيم الشمولية من جراء هيمنة التكنولوجيا". (الحبابي محمد عزيز: 104)، فبرغم من التطور والتقدم العلمي والتقني الذي وصلت إليه الحضارة إلا أنه قد قابله تراجع وانهيار وتخلف للأخلاق، فالتاريخ أثبت أن القيم تعطي مناعة للمجتمعات عندما

تتجذر في إنية الفرد، لأن كل تقدم علمي وتقني لابد أن يتوج بالقيم الأخلاقية والروحية التي يعتبر أول مصدر لها هو الدِّين فبالتالي:

-ماذا يمنع المصلحين الفكرلوجيين العرب من توظيف الإمكانات الدينية، ولو إستراتيجيا ضد التخلف؟

التجربة الإيمانية كبديل واقعي لتجاوز الأزمة:

بعد ما غدت الأفعال البشرية تقاس بمردودها الكمي المادي، وأصبح الإنسان المعاصر في حيرة وهو يهيم في التقنيات ضائعا في أنانيته يغرق في خضم توالد الأزمات وتكاثفها، ولم يستطيع أي نظام من الأنظمة السياسية والإقتصادية أن يعطي حلا ناجحاً، ولم تستطع أية فلسفة ولا أي فكرولوجيا أن تخفف من وطأتها في ظل ضياع الوسائل الروحية التي تدفع بالضمائر الى الثورة " فأنى لحضارة انتحرت فيها كرامة الإنسان وانمحت القيم والآمال أن تعالج الأوضاع بنفسها ومن داخلها" (محمد عزيز الحبابي، د س: 32).

فمن وراء تجربة الاستعمار التي عاشها الحبابي و معانات وطنه من ذلك المعتدي الذي مارس كل أنواع القهر و الاستبداد ضد كافة الشعوب المستعمرة، ما أورثهم الإحساس بالدونية و الذل والنقصان، فكانت تلك التجربة هي الدافع إلى تبنيه الفلسفة الشخصانية التي عدت ثورة ضد الأوضاع السائدة في فرنسا و في الغرب بعد الحرب العالمية الثانية، حيث جاءت لتستنكر الوضع الذي آل اليه الإنسان، فقد عبر الحبابي عن رفضه للاستعمار فاختار النضال الوطني بالفعل و القلم، لذلك انضم منذ شبابه الى الحركة الوطنية واستنكر العنصرية سواء كانت عرقية أم دينية، فبالرغم من تعرضه للسجن عدة مرات و تدهور حالته الصحية، إلا أنه أصر على مواصلة نضاله بالقلم، فالتحق بالمدارس العليا بفرنسا وهناك كانت وجهته تلك الفلسفات التي تدعو إلى تحرير الإنسان فتبنى التيار الشخصاني كاتجاه فلسفي انساني.

فحسب الحبابي أن ذلك التردد بين الليبرالية التي لا تكترث بآلام أغلبية البشر وبؤسهم، والاشتراكية التي تريد اسعاد الناس بعد أن وئدت حرية الاعتقاد وسلخت الشخصية عن البعدين الفكري

والروحي هو ما ولد الأزمات المعاصرة (محمد عزيز الحبابي، د س: 35)، فكل ما عرفته الإنسانية في الماضي من كوارث إلا أنها واجهتها بأنواع من العلاج، أما اليوم فلوائح الكوارث تكبر وتتضخم في حين تتقلص القدرة على علاجها، فكأن الحياة انقلبت إلى قفص، ولم يبق من الماضي سوى ذكريات تضع الملح على الجراح فيشتعل الشوق إلى تلك القيم التي تعطي كل معاني الإطمئنان للنفوس ،هي قيم الشمولية تلك التي يعنيها الحبابي فيقول: " أن هناك شيء أساسي تقوم عليه الحياة، ليس هو العقل ولا المادة بل(فكرة توجيهية) هي قاعدة نمو الأحياء واستمراريتهم، وتلك الفكرة التي تمانع إرجاع الحياة إلى أصل مادي محض (محمد عزيز الحبابي، د س: 39).

إن عالم اليوم يعج بالأزمات، والكوارث تزداد يوما بعد يوم، والقيم تندثر وتتبخر وعجزت كل الأنظمة عن مواجهتها بل على العكس من ذلك ساهمت في تفاقمها وبالخصوص النظام الليبيرالي الذي يغذي المزاحمات التي تعد بدورها منبع كل القيم اللاأخلاقية (الأنانية، الكذب، الاستبداد والهيمنة ....)، والنظام الاشتراكي الذي حاول أن يجسد المساواة إلا أنه عجز عن تكريس القيم المثلى، من هنا يبرز دور الدين في مواجهة تلك الأزمات، من أجل تقديم الحلول لتجاوز الكوارث الإنسانية عن طريق تجسيد القيم الأخلاقية.

فالحبابي يرى أن أي نهضة جديدة تعتمد على الإيمان كأحد مقوماتها، لكفيلة بأن تصحح الأوضاع وتعيد للإنسانية إنسانيتها وسعادتها الحقة لأن مناعة المجتمعات تكمن في تلك القيم المتجذرة في إنية الفرد، مناعة عمادها الإيمان النظيف فهو سند الفضائل لرقي المجتمعات الإنسانية، فلا العلم ولا التكنولوجيا، ولا الفكرولوجيات استطاعت تجذير القيم في الأعماق، لأن الايمان الصادق هو الذي يستطيع تذويب القيم والفضائل عمق كل إنسان (محمد عزيز الحبابي، د س: 48).

يُعد الإسلام من أكبر النعم فهو دين شامل لكل ما في حياة البشر، من عبادات ومعاملات، فهو الرسالة التي بعث بها إلينا نبينا

الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم تحت قوله "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (الألباني: خلاصة حكم المحدث: صحيح).

كما كان لابن خلدون رأي قريب من هذا حين اعتبر أن العوامل الأساسية في انهيار الحضارة" هي العوامل الأخلاقية فأياً كانت العوامل الإقتصادية والسياسية، لكنها لا تكون السبب المباشر في القضاء عليها، وإنما يأتي السبب المباشر (....) من الإستجابة الأخلاقية عند الناس" (عبد المجيد عبد الرحيم، 1967: 9).

فالحبابي يطرح بأن " الغرب يعي الخطر المعنوي الذي يهدده فتقدم المعارف العلمية وازدهارها التكنولوجي قد صاحبه تضعضع القيم الأخلاقية وتهافتها" (محمد عزيز الحبابي، د س: 39)، ولإثبات الحقيقة نستأنس بالشهادات من عقلاء الغرب على اختلاف تخصصاتهم العلمية إلى أن الإنسان الغربي قد وصل الى درجة فضيعة من التأزم الأخلاقي، بلغ أوجه في اصطباغ جميع علاقاته بصبغة مادية براغماتية:

ففيلسوف الحضارة الألماني "ألبرت شفيتسر" يؤكد قائلا:" نحن نعيش اليوم في ظل انهيار الحضارة بالرغم من أن الغرب احتفظ بقوته في معظم مرافق الحياة إلا أنه روحيا مصاب بالهزال" (ألبرت شفيتسر، 1983 :11).

نذكر كذلك المحلل النفساني- إريك فروم- الذي صور في كتابه(المجتمع السليم) مأساة المجتمع الغربي الذي توالت عليه النكبات النفسية فأفقدته صحته العقلية، ويؤكد أن الإنسان العربي فقد الايمان بالله في القرن التاسع عشر، ولكنه في القرن العشرين فقد الإنسان، وإذا كانت القطيعة مع الله أوت به إلى تضييع الإيمان، فإن قطيعته مع الإنسان قذفت به في جحيم فصام الشخصية (الشكيزوفرينيا)، أو الإغتراب الذاتي والحل لأزمة الإغتراب فهو العودة إلى الحب بين الناس والإيمان بالله (حماد حسن، 1995: 60).

أما الطبيب الفرنسي-أليكسيس كاريل- فقد أدرك أن الحضارة الغربية سحقت كل معاني الإنسانية لدى الإنسان ولذلك أعلن قائلا: " إننا قوم تعساء لأننا ننحط أخلاقيا وعقلياً" (كاريل ألكسيس، 1998: 355).

إن التمعن في هذه الشهادات التي تمثل نقد العقل الغربي لذاته، يوصلنا إلى أننا في حالة اصطبغنا بقيم الحياة الاجتماعية الغربية، سيصيبنا لا محالة ما أصاب ذلك المجتمع، فكل ما يرمي إليه الغرب بوجهته المادية وعالم أفكاره ووصوله إلى حالة الإغتراب هو سعيه عن قصد إلى نقل المجتمعات الأخرى المتأثرة به إلى حالة اغتراب أشد التعقيد، وبما أن مجتمعات العالم النامي تتحرك باتجاه المجتمع الغربي الذي يمثل بالنسبة لها النموذج الحضاري الراقي، فإن كل ما سنتوقعه هو انتشار القيم الغربية في مجتمعاتنا وانهيار القيم الأخلاقية.

فلا وجهة لنا غير ذلك لأننا في أغلب الأحيان عاجزون بسبب مركب النقص الذي يشعر به المغلوب المولع بتقليد غالبه الأمر الذي يدفع بنا إلى اقتناء وتقليد كل ما هو وافد من الغرب، بالإضافة إلى غياب البدائل الحضارية، فالعالم المتخلف منبهر كل الانبهار بالغرب، ويكفي أن ندقق النظر في حياتنا بما أمسينا نتفاخر بما تحقق فينا من قيم المجتمع الغربي وثقافته.

يتفطن محمد عزيز الحبابي لهذه الأزمة ويرجحها لأزمة قيم مشخصاً تجليها فيما ورد ذكره سالفاً مقترحاً بديلاً: تجربة الإيمان فهو يرى بأن الرجوع إلى القيم الشمولية هو الحل الناجع، وأن الإيمان خير ضمان لتلك القيم، فهو الذي يعيد للناس الثقة بالنفس، ويعزز التعاون والإخاء، " فمثل مشاريع المعاصرة المنسلخة عن القيم كمثل حمامة تعجز عن التحليق برغم الأجنحة، لأنها تختنق بانعدام الهواء في محيطها، يود بعض المعاصرين لو تأتى للحمامة أن تطير بلا هواء ولا أجنحة (....) لكن الطبيعة تعارض التحليق في أجواء لا هواء فيها" (محمد عزيز الحبابي، د س: 50).

وبهذا الاعتبار لا يمكن إغفال دور الإيمان الذي يستمد قوته من الدين الإسلامي الذي يحقق القيم الأخلاقية التي نرمي الى تحقيقها. وإليها نرجع في أحكامنا على الأفعال وبها نقيم وعلى هديها نقوم، فالأخلاق هي جملة من القيم من أجل تحقيق التساوي بين جميع الأفراد.

فالحبابي يرى بأن الأفكار المسبقة التي يدعوا لها الفكرلوجيين باسم الواقعية والموضوعية والعقلانية والحكم على أن الإيمان والتعالي وكل ما يتصل بالروحيات والمعنويات مرفوض لأنها خرافات ماهي إلا دعوة إلى محاربة الدين عوض التجنيد للخروج من التخلف " وتكسير لوحدة الشخص وإفراغ له من كل ما ينقله من الكائن الخام الى كائن بشري يتشخصن ويتأنسن طوال حياته مع وفي المجتمعات الإنسانية" (محمد عزيز الحبابي، د س: 50).

فيتولد من هذا إذَا أن القيم السلبية تعمل على تقويض مرتكزات الكائن الإنساني، ومن أهمها مرتكز التعاون والتعاطف والاندماج الذي لا يتحقق الا بفضل حيات الأنا مع النحن وفقالقيم الأخلاقية باعتبارها تعمل على تطوير الإنسانية ومناهضة المزاحمة التي هي منبع الشر.

فالحبابي يضرب مثل: الكفاح الوطني لدى الشعوب في المغرب العربي الذي أدى إلى الاستقلال الذي صاحبه شعور أخلاقي عميق لا يرجع إلى المطالب العقلانية فقط، فنبغي أن نأخذ بعين الإعتبار أن الإيمان والأخلاق الدينية لعبا دوراً أساسياً، أولا في خلق ذلك الكفاح، وثانيا في تغذيته بتجنيد المشاعر وتوجيه الأفعال نحو مطلب التحرير ثم تحقيق الاستقلال (محمد عزيز الحبابي، د س: 51).

بالفعل لعب الدين بقوته داخل أعماق الشعوب في ترسيخ الإيمان بضرورة الكفاح من أجل تحقيق الاستقلال ومثال ذلك الثورة الجزائرية التي كان للزوايا وشيوخها دورا رياديا في احياء وبعث القيم الدينية والإسلامية وحفظها للأمة المسلمة على قرآنها ولغتها ودينيها واخلاقها الإسلامية وترسيخ الإيمان بحب الوطن والتاريخ النزيه يشهد أن شيوخ الزوايا كانوا أسرع من غيرهم مبادرة في مقاومة العدو من أجل تحقيق الاستقلال الوطني.

لذلك يؤكد محمد الشيخ إلى أن فلسفة الحبابي مسكونة ببعد ديني، يجعل منها فلسفة دينية، ويُظهر المنحنى الديني في ظل الأزمات وهيمنة حضارة المادة، فإن القيم الروحية والدينية هي المنقذ والمخلص للإنسان الحديث، فالدين كان ولا يزال يعطي معنى لل

حياة وقيماً للأفعال فهو يشكل تجربة وجودية ومصدر للقيم ومنبعا للأمل، فاستبعاده من حياة الإنسان ترك فراغاً لم تفلح الأيديولوجيات المعاصرة في ملئه، ولهذا فإن الفلسفة الدينية للحبابي، تراهن الدين في أنسنة الكائن البشري وتأنيس العالم (محمد الشيخ و أخرون بقلم ابراهيم مجدلية، 2015: 68).

بناءاً على ذلك فإن للدين حضور متحرك ومؤثر في الأعماق، وخاصة بالنسبة لدول العالم الثالث، ويرى أن أي تنظير إصلاحي سليم بالنسبة لثالثيين، لا بد أن يعتمد على القوى الهائلة التي تكمن في الدين، والتي لا تنفذ برغم توظيفها الدائم عبر العصور والأجيال.

الإسلام مصدر نظامنا القيمي:

الإسلام دين القيم العليا، والمثل السامية ورسالته رسالة القيم الإنسانية التي تتسم بالربانية و الشمولية والثبات والتوازن والعالمية، وهذا ما يعني انها صحيحة ودائمة وشاملة لكل ما يراد للإنسان و يتمثلها ويعيشها لتحقق مصالحه كلها ونسقها منظم متكامل متناغم، وهي قيم تبنى على إعطاء الفرد حرية الاختيار والإرادة لما يختاره من قيم، ولكنها في الوقت نفسه تربط بين الحرية والجزاء، ولكن هذه الحرية لها أبعادها في مسؤولية الإنسان وفي تلقيه الجزاء، فالأفراد و الأمم في جميع أحوالهم يخضعون لهذه السنة الإلهية في سعادتهم وشقائهم، وأن هلاك الأمم السابقة كان باتصافهم لما يخالف دعوة الله لهم، ووضعهم الشيئ في غير موضعهم وبذلك ظلموا أنفسهم. فمعالجة حياة الناس ومجتمعهم مرتبط ارتباطا دقيقا بقوانين الله تعالى في سننه الثابتة، ولهذا فمن يبني قيم الإنسان خارج حدود سنن الله فقد كان هذا للخراب لا للعمار (المرزوقي أبو يعرب، 2007: 10).

أمة الإسلام متميزة بثقافتها وثقافتنا كفيلة بحفظ منظومتنا القيمية صافية نقية ما دمنا مؤمنين متمسكين، ففقدانها هو ضياع لهويتنا الثقافية والحضارية يفسح المجال للقيم الوافدة لأخذ مكانها والسيطرة على عقول شبابنا فنحن مطالبون أكثر أن نراعي عند غرس القيم وتعليمها على مراعاة ترسيخ المعتقدات الإسلامية معتمدين على منهج الإقناع العقلي الذي يقوم على توضيح الدليل

والبرهان والتعليل على تأسيس القيم وفق منهج التفكير الصحيح والنظر في الإيجابيات والسلبيات وتحمل العواقب والنتائج.

يؤكد الحبابي بأن الإسلام من المكونات والأبعاد العميقة والامتدادية للشخص العربي ولهويته، هذا هو جوهر الإسلام:" أن تعرف العالم والحياة شاكراً فضل خالقها، وتبعد من معاملاتك الشعوذة، والزور والبهتان، والنفاق، لتحيا طبقاً للعقل والضمير إنها فلسفة أخلاق، من أجل حياة إنسانية سليمة بلا التواء ولا غموض" (محمد عزيز الحبابي، د س: 93).

لذلك فمشروع الدين الإسلامي عند الحبابي يكمن في تعليم مكارم الأخلاق، وتكريس مبادئ المحبة والصدق وتقديس الكرامة والمروءة لأن هدف القيم الأخلاقية هو صيانة كرامة الموجود، وإنسانية الموجود تكمن في كرامته، لذلك نجد أن الدين الإسلامي قد حدد للكرامة" شروطاً وغاية وضمانة، مجمل الشروط هو اتخاذ الوقاية ضد الإساءة للنفس وللغير، أما الغاية فهي صيانة القيم في السلوك الشخصي وفي المعاملات، فالدين معاملات" (محمد عزيز الحبابي، د س: 94).

فالحبابي يقر أن دين الإسلام لا يدعو إلى أن ينزوي الإنسان وينقبع على نفسه بل يدعو إلى أن يكون مؤمناً صحيح الإيمان ويجب عليه أن ينفتح على العصر، وأن يأخذ الأمور التي أوجدت في الحياة، من آليات وتقنيات، على أن يأخذ منها ما ينفع ويترك ما يضر، فالإسلام يريد لأمتنا أن تبقى متماسكة وأن يكون دينها موجودا بعمق فيها وأن تتبع نهج الله سبحانه وتعالى لأنها مطالبة بذلك، فالناس شباباً كانوا وشيباً، صغاراً كانوا أو كباراً، نساءاً أو رجالاً، مطالبين أن ينتهجوا نهج النبوة، لأن الأمة بحاجة لأن تأخذ به وتقتدي به عليه أفضل الصلاة، وذلك حينما تصيبها الأزمات وتحيط بها النكبات فعليها أن تتذكر وترجع لنهج نبيها، وتعلم بأن الله سبحانه وتعالى جعل بعد العسر يسراً، فالأمة بيمينها نوران (قرآن وسنة)، فهو النور الخالد الذي لا يفنى ولا يتبدد ولا تنقضي عجائبه.

فالإسلام صالح لعلاج مشاكلنا في عصرنا هذا رغم العولمة والتقننة والفتن التي يعيشها عالمنا والتي اكتسحتنا في

عقر ديارنا، لهذا فدور التربية الأسرية للأبناء، والمقصود هنا التربية الإسلامية التي تنبع من ديننا الحنيف، وعلى الأسرة المحافظة على مبادئ الإسلام وتعاليمه لأن الأبناء مثل البراعم فلا بد من تعويدهم على قول الصدق واحترام الجيران وما إلى ذلك من القيم الأخلاقية القيمة (أكرم مصباح عثمان، 2002: 42).

يكفي أنه ومنذ بزغ نور الإسلام أضاء بنوره سماء العرب فحقق أضخم حضارة عربية إسلامية بلغت أوجها في التاريخ الإنساني، وبرغم من اضمحلالها إلا أن الأساس الذي قامت عليه موجود وحاضر لقيام الحضارة من جديد فسيلعب الإسلام اليوم و غداً الدور الذي لعبه أمس بالنسبة للعالم العربي وبالنسبة للإنسانية جمعاء فهذا ما نختاره، وكلنا أمل في النخبة من المثقفين مع الثقة في القدرة على التغيير طبقا لمتطلبات الأوضاع نحو واقع وغدٍ أفضل.

تقييم القيم الأخلاقية عند الحبابي:

مما لا شك فيه أن مشروع الحبابي له نزعة إنسانية أخلاقية تطمح إلى العالمية والكونية، من خلال شخصانيته الإسلامية ـ الغدية. التي ترتبط بالجانب الأخلاقي والثقافي الفلسفي من أجل الحث على ضرورة التعاون المشترك في خلق انسان جديد معاصر متكامل من الناحية الأخلاقية والعلمية لأنها فلسفة حاولت أن تعالج مشكلات عصرها وتطوير الفكر العربي المعاصر عن طريق محاولة دمج الأصالة مع المعاصرة، وكذا جمع المادي مع المعنوي.

حيث يرى بأن أزمة القيم ماهي في الحقيقة إلا أزمة الشخص والأشخاص الذين يتعاملون بها. وهذا ما يؤكد أن فلسفته الغدية تحمل في طياتها رسالة ذات أبعاد أخلاقية، لأن الشخص عنده يشكل عماد القيم الأخلاقية بكل مستوياتها لأنه يمثل الذات التي تمارس هذه القيم، وهو في نفس الوقت هدفها لأنها متجهة إليه لتحققه.

وعليه فإن فكر الحبابي كان فكرا شموليا حواريا منفتحا على تاريخ الفلسفة فلم يكن ممن يدعون إلى معاصرة تعتمد على الفكر

الأوروبي وحده كمرجع، ولا ممن يقترحون علينا أن نقتصر على التفكير انطلاقا من التراث وحده، وإنما كان فكره دائما متوجها نحو محاورة التراث، وهكذا فإن المعاصرة لم تكن تطرح عنده كنقيض للأصالة، وهنا يبرز المنحى التوفيقي في فكر و فلسفة الحبابي، فعند تناوله لأزمة القيم كانت رؤيته تصب على أزمة إنسان هذا القرن الذي حطمت شخصيته وطغت عليه الآلية وقضت على كل القيم التي تحفظ كرامته، فكان مشروعه الغدوي الحضاري يحدد الشروط التي تتيح إمكانية رفع وتجاوز أزمات العالم وتناقضات الوضع البشري في عالم التقننة، وذلك من خلال إبداعه للبديل والنموذج لتجاوز أزمة القيم، من خلال نزعته الإنسانية التي ترتكز على مبدأ أخلاقي أساسي، يجعل الإنسان في أعلى مرتبة من كل شيء ،"لأن مراد الغدية الأساسي، هو أن تعيد للإنسان مركزيته في العالم، ليصبح من جديد أوليا لكل فعل ويصبح سيد الطبيعة ومالكها كما يقول ديكارت "(محمد وقيدي، 1999: 173).

هكذا حاول الحبابي مرارا وتكرارا لنهوض بفكر فلسفي مغربي عربي إسلامي راقي، إلا أن الحبابي لم يسلم من الانتقادات الموجهة له من طرف العديد من الفلاسفة والمفكرين. نذكر من بينهم المفكر كمال عبد اللطيف الذي كان مثمنا لبعض أفكاره ومنتقدا للبعض الآخر، خاصة المتعلقة بدراسة واقع العالم المعاصر بحيث يرى أن الحبابي ساهم في بلورة مسائل تتعلق بمصير العالم الثالث، التي تقترح إعادة تأسيس قواعد جديدة للتضامن الإنساني بمعايير اجتماعية وأخلاقية، ويعتبره مساهما في بلورة الوعي التحرري لأن الأزمة الاجتماعية والأخلاقية أول ميادين التحرر. (كمال عبد اللطيف، 1993: 38).

كما اعتقد أن الحبابي قد عمل على دمج الشخصانية الغربية بالفلسفة عربية إسلامية، وربط الماضي بالمستقبل وأهمل الحاضر من خلال طرحه لفلسفته الغدية، كاتجاه شامل في فهم وتجاوز الانحطاط الأخلاقي الذي شهده القرن العشرين.

لكن الحقيقة أن الحبابي انطلق فعلا من حاضره ومعاناته كثالثي مهمش من طرف المستعمر.

إذن فالحبابي قدم لنا فلسفة وأفكار عن طريق شخصانيته الواقعية والغدوية التي تفرد بها كطرح في العالم العربي الإسلامي ولقيت صدى قوي على مستوى العالم، بدليل أن مؤلفاته ترجمت إلى العديد من اللغات في العالم. دليلا على اعجابهم بما قدمه من انتاج فكري. فالغدية ترتبط بالجانب الفلسفي و الأخلاقي النظري، واعتبر أزمة القيم ازمة عالمية فهي ازمة اخلاقية تردع الكذب و عدم المساواة لأجل الخروج من دائرة الإنغلاق الفكري نحو الانفتاح على الآخر، ففلسفة الحبابي فلسفة تفاءل فهو يسعى جاهدا للبحث عن الحلول لأزمة العالم الثالث والإنسانية ككل من خلال التعاون المشترك من أجل خلق انسان جديد معاصر متكامل من الناحية الأخلاقية و العلمية، حاولت أن تعالج مشكلات عصرها، هي فلسفة انسانية اخلاقية تطمح للعالمية و الكونية.

وهكذا يمكننا القول أن فلسفة الحبابي هي فلسفة في القيم لأنه نظر في مسألة القيم من حيث مبناها و معناها وغاياتها ومجالاتها، واعتبر القيم معيار التمييز بين ما ينبغي رفضه وما ينبغي قبوله وتبنيه، ففي غياب القيم يضيع الإنسان لأنها تحفظ كرامته، فالقيم الأخلاقية تظل دائما في خدمته، وتعمل على وضع حد لمجتمع الغاب الذي يأكله فيه القوي الضعيف، ولأن القيم الأخلاقية في أزمة الفراغ والتيه، فقد دعا الحبابي الى أخلاق جديدة تعيد للضمير الأخلاقي مكانته المركزية في الحياة وتخلق للشخص توازنه، لذلك فإن أزمة الإنسان المعاصر ناتجة عن تخليه عن القيم الروحية والأخلاقية وتراجع النزعة الإنسانية، فبالتالي إن مجتمعاتنا المعاصرة بحاجة الى مثل هذه الفلسفة لأنها تجعل الإنسان يشعر بالمسؤولية التي تجعله يعمل جاهدا على تجاوز الأزمات التي تواجهه.

الخاتمة:

وفي الأخير نخلصُ إلى جملة من النتائج هي كالآتي:

فلسفة الحبابي واحدة في مبادئها وغايتها همها الوحيد الإرتقاء بالإنسان العربي المسلم أولاً وبالإنسان أينما كان وعلى الجميع مهما اختلفت الديانات والفكرولوجيات والأجناس والثقافات، وأن تقضي على مجتمع الذئاب ويكون الإنسان أخاً للإنسان فبدون ذلك لا قيم شمولية ولا إيماناً خالصاً ولا معرفة نافعةً ولا حضارةً حقاً.

كشف الحبابي عن السبيل لتغيير الأوضاع والتحرر وخروج من أزمة القيم للتخلص من البغضاء والأنانية والشوفينيات ، وهو إحترام القيم الفكرية والأخلاقية والروحية فهذا هو سبيل أمل إنتعاش الإنسانية.

يُثمن الحبابي دور ومكانة الإيمان في المجتمع، فمنه تستمد القيم الدينامية، وبه تسقى الأمال، فبدونه لا سلم بين الأفراد ولا بين الشعوب ولا سبيل لتجاوز الأزمة.

لا ينكر الحبابي أن العلم يعمل على تقدم المعرفة لمصلحة الإنسان، لكنه يحذر من الاعتماد عليه لإثبات مشروعية الإيمان، جراء طغيان المادية، واتخاذ العقل سبيل لإثبات كل ما هو واقعي، وإنكار القيم الأخلاقية والروحية.

تميّز فكره بالأصالة والانفتاح على قضايا العصر في العالم، فاتخذ نظرية الإسلام عن الإنسان والكون، لتنسيق التواجد في المجتمع البشري، التي تخضع لقيم الشمولية القادرة على أنسنة العالم والموجودات، لأن الإسلام يتربع أعماق معتنقيه فبفضله برزوا على مسرح تاريخ الثقافات العالمية.

يدعو الحبابي إلى إعادة أنسنة كل النشاطات بسيادة القيم والأخلاق التي تعيد إلى الإنسان المكانة التي هو أهل لها، عسى أن يتحقق للجميع غداً أفضل يضمن استمرارية النوع البشري بما يليق به من كرامة وسمو.

وفي الأخير يبقى مجال البحث مفتوح لأفاق جديدة من خلال تساؤلنا:

أي فلسفة من الفلسفات المعاصرة تلك التي يمكنها أن تجسد الأخلاق الجمعية التي تحفظ إنسانية الانسان وتقوم على أساس القيم الأخلاقية؟ وهل هناك غد لغدوية محمد عزيز الحبابي؟

شرح المصطلحات:

1. **الشوفينية**: عرفها الحبابي أنها المبالغة في التعصب للمعتقدات الدينية أو السياسية أو لفلسفة أو لفكرلوجيا بوتيقية عمياء ،وشوفيني كذلك هو من يتطرف في الرفض المطلق لأي رأي أو عرف ليس عليه قومه فهي تعصب متطرف حاقد على الغير، لأن هذا الغير مغاير لأنه الأخر، فالنعرة القومية ليست إلا واحدة من النعرات التي تشملها الشوفينية .وتوسم أيضا "بالوطنية المتطرفة". يراجع كتاب: دفاتر غدوية لمحمد عزيز الحبابي ص18.

2. المزاحمة: من وجهة نظر الحبابي المزاحمة هي نسق ينطوي على خدعة ضد الأخلاق، فابسم حرية الفرد وتشجيعا له على اتخاذ المبادرات تترك المجالات مفتوحة امام الجميع، فلاينجح في المزاحمات إلا الأقوياء لأنها تقوم على الاحتكار والمضايقة والحسد، فلا تضبطها تشريعات فهي ترجع الى قانون الغابة والحق يكون للأقوى، وعلى أساسها يقوم النظام الليبيرالي. يراجع كتاب: دفاتر غدوية لمحمد عزيز الحبابي، ص21.

قائمة المراجع:

- ألبرت، شفيتسر، (1983). فلسفة الحضارة. ترجمة: عبد الرحمن بدوي ط3. بيروت: دار الاندلس.
-الجوهري، أبو نصر إسماعيل، (2009). الصحاح في اللغة. القاهرة: دار الحديث.
- الحبابي، محمد عزيز، (1972). من الحريات الى التحرر. القاهرة: دار المعارف.
- الحبابي، محمد عزيز، (د س). الحضارة الإنسانية و حضارة التصنيع. في محمد عزيز الحبابي الإنسان والأعمال. ج3.
- الحبابي، محمد عزيز، (1973). من المنغلق إلى المنفتح. ترجمة: محمد برادة. ط2. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية

- الحبابي، محمد عزيز، (1991). علم الغد: العلم الثالث يتهم (مدخل الى الغدية).ترجمة: فاطمة الجامعي الحبابي .ط1. .بيروت: مركز الدراسات الوحدة العربية.
- الحبابي، محمد عزيز، (د س). دفاتر غدوية. القاهرة: دار المعارف.
- الرازي، محمد بن ابي بكر، (1967). مختار الصحاح. بيروت: دار الكتاب.
- الشعلان، فهد احمد، (2002). ادارة الأزمات الأسس، المراحل، والأليات. الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
- الطريقي، عبد الله ابراهيم، (1997). الثقافة الإسلامية تخصصا ومادة وقسما علميا، ط1. الرياض: دار المسلم.
- الشيخ، محمد، (2015). في فلسفة محمد عزيز الحبابي الشخصانية والغدية.
- كمال عبد اللطيف، محمد عزيز الحبابي الشخصانية والغدية، ط1. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- كمال عبد اللطيف، (1993). في الفلسفة العربية المعاصرة، ط1. الكويت: دار السعادة الصباح.
- اللاوندي، سعيد، (2000). " أمريكا وأوروبا العولمة والعولمة المضادة" مجلة السياسة الدولية. عدد: 142. ص. ص. 113-128.
- المانع، مانع، (2002). القيم بين الإسلام و الغرب دراسة تأصيلية مقارنة، ط1. دمشق: دار الفضيلة.
- المرزوقي، أبو يعرب. (2007)، شروط نهضة العرب والمسلمين، ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر.
-بوفلجة، غياث، (1985). الهوية الحضارية والتنمية، ط1، باتنة: دار الشهاب.
- حماد، حسن، (1995). الإغتراب عند إيريك فروم. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.
- رضوان، رضا عبد الرحيم، (2000). الأمن والحياة. الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية.
- غارودي، روجيه، (1999). حفارو القبور.... الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها، ط2. بيروت: دار الشروق.
- عبد المجيد، عبد الرحيم، (1966). التربية و الحضارة، ط1. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية العربية.
- عبد التواب، محمد ابو النور، (2017). «أزمة القيم في ضوء متغيري المرحلة التعليمية ونوع التعليم لدى المعلمين والمعلمات بمؤسسات التعليم قبل الجامعي». مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية والنفسية، العدد السابع، الجزء الرابع، ص. ص. 1-42.
- كاريل، الكسيس، (1998). الإنسان ذلك المجهول. ترجمة: شفيق اسعد فريد. بيروت: مكتبة المعارف.

-مصباح، أكرم عثمان، (2002). مستوى الأسرة وعلاقته بالسمات الشخصية وتحصيل الابناء، ط1. بيروت: دار ابن حزم .
-وقيدي، محمد، (1999). جرأة الموقف الفلسفي، ط1. المغرب: أفريقيا الشرق للنشر.

Mohamed aziz Lahbabi, (1980), le monde du demain, le tiers-monde accuse, dar alkitab.